وفاء الكلاب

« حادثة وقعية »

هاجر لبنان بنية الارتزاق الى البلاد البرازيلية رجل لبناني كان قد ربى كلبا احبه كثيرا فابى الاستصحابه معه وتأخر المركب في احد الجزر فبات المسافر في احد النزل وعاد الى المركب فجأة فنسيا كلبه الامين . مشى المركب وتذكر المسافر كلبه فحزن حزنا شديدا عليه ولكنه اضطر الى اكمال سفره وأقام سنتين في البرازيل مشمرا عن ساعد الجد والنشاط وكوفيء هذا الرجل على نشاطه بكسب الاموال الطائلة بحيث أحب الرجوع الى بلاده غانما سالما وبينما كان ذلك الرجل عائدا الى وطنه اللبناني مر بنفس الجزيرة ونزل في نفس الفندق ولم يخطر له انه سيصادف كلبه الامين حتى ولا خطر له ان يسأل عنه وانزل الضيف في احدى غرف النزل ولكن الكلب الذي كان لم يزل هناك وقد تغير شكله بخلال السنتين عرف صاحبه الاول ولحكمة سيعرفها القاريء اختبأ تحت السرير في غرفة سيده وجاء المسافر الى غرفته الساعة العاشرة قبل منتصف الليل فخلع ثيابه واطفأ المصباح ونام وبينما كان يغط في نومه شعر بلطمة قوية على وجهه فاستيقظ ولما لم ير احدا توهم انه كان حالما وعاد الى سباته الاول فشعر بلطمة اخرى اشد من الاولى واوجع فنهض ثانية وانار المصباح واخذ يفتش في خزائن الغرفة لعله يرى شخصا مختبئا فلم يعثر على شيء وتبين له ان باب الغرفة كان ولا يزال موصدا واخيرا عزم على التناوم ليرى ما يكون فاطفأ النور واضطجع في السرير واخذ يغط كالعادة فشعر بيد ارتفعت من اسفل السرير فلطمته على وجهه لطمة شديدة كادت تفقده البصر فانار السراج بعد ان نهض من السرير كلبا رابضا استشاط غيظا من وجوده هناك فتقدم من الكلب واخذ يضربه ويجذبه الى جهة الباب ليخرجه منها ولكن الكلب اخذ يصارع بشدة ذلك الرجل ويأبى الخروج ولحظ المسافر ان هياج الكلب كان يزداد عندما يقترب ذلك الرجل من السرير بينما كانت تهدأ ثورة الكلب عندما يرى صاحبه بعيدا عن السرير « وكان الرجل نبيها » فاعتقد

ان في الامر سرا لابد من استجلائه فتناول كرسيا وجلس بعيدا عن السرير وعادت اليه ذكرى كلبه فتفرس بالكلب واخيرا عرفه وكان الكلب ساكنا يتحبب الى هذا الرجل طالما هو يبعد عن السرير ويثور بركان غضبه اذا رأى سيده اقترب ولو قليلا نحو ذلك السرير . عند منتصف الليل تماما والرجل لم يزل جالسا على كرسيه سمع دويا شديداً في الغرفة وشوهدت حربة ذات شفرات متعددة سقطت من السقف على السرير فمزقت مافيه تمزيقا وعلم الرجل الحكمة من الكلب بابعاده عن السرير فاخذ يقبله بعد ان تأكده جيدا بهذا العمل انه هو هو كلبه الامين الوفي. فتح الرجل نافذة الغرفة واخذ يصفر صفير الاستغاثة فاسرع رجال البوليس ورأوا اثار الجريمة بالم العين وثبت اخيرا ان عصابة كانت مؤلفة تعتدي على ارواح الناس وتسلب اموالهم بهذه الطريقة .هذا وفاء الكلب الحيوان غير الناطق رغما عن ان صاحبه اخطأ نحوه بتركه في تلك الجزيرة. وبين الناطقين فريق كبير لا يعرف للوفاء معنى ولو واصلته بالاحسان ولم تكن لك هفوة في نظره .عبرة للناس فليعتبر المعتبرون

« صدى الشرق »

أمة النساء

القوقاس بلاد ما زالت الحمية ضاربة أطنابها فوق ربوعها وما زال فيها الى الآن قبائل مجهولة منقطعة عما جاورها من القبائل لها عادات غريبة واطوار عجيبة تحير الالباب ويقف القارىء حيالها موقف الدهش والذهول واننا نروي اليوم رواية عن قبيلة جديدة اكتشفتها بعثة علمية روسية رحلت من مدينة موسكو الى القوقاس للاستكشاف والاستطلاع

عثرت البعثة على قبيلة اسلامية تدعى قبيلة (ياساي) تعيش في قرى صغيرة بدون أسماء واهلها لا يعرفون شيئاً عن أصلهم وكلهم يجهلون القراءة والكتابة واذا أراد الرجل منهم الانتقال من قرية الى أخرى سأل عن موقعها فيقال له : ان القرية التي يقصدها واقعة مثلا في سفح ذلك الجبل ويشيرون اليها بأصابعهم

ومن العار العظيم بل من الجرائم التي لا تغتفر عندهم أن يباشر الرجل منهم عملا من الاعمال أو يساعد زوجته على تحصيل القوت الضروري للعائلة

ان شرائع أسلاف قبيلة (الياساي) تأمر الرجل ان لا يعمل عملا ما وهو في البيت كمية مهملة أو كالاثاث البيتي الذي لا قيمة له بل كما قال رجال البعثة ان الرجل منهم في البيت كالخف أو السجادة أو اللباد وليس له شأن في ادارة المنزل أو عمل أي عمل من الاعمال ووظيفته سهلة لطيفة وهي الانتفاع بأتعاب زوجته والاكل والشرب والنوم والراحة الدائمة

ومن العار الجسيم على الرجل مباشرة أي عمل من الاعمال فانه بذلك يرتكب اثما بل انه يلطخ نفسه بعار لا يمحى مدى حياته لانه نقض شرائع اسلافه الامجاد الذين يرون ان العمل للرجل عار لا يمحى بل انه يعرض نفسه لاستهزاء وسخريه أهل بلدته وعشيرته فهو حفظه الله يقضي سحابة يومه مضطجعا تحت شجرة جوز ضخمة مع رجال بلدته يتسامرون ويتحادثون بأحاديث تافهة لا فائدة منها ولا معنى لها

واذا حاول الرجل أن يعمل عملا من الاعمال فانه لا يستطيع ذلك لان زوجته تحتج عليه بشدة وتوقفه عن العمل بكل ما أوتيت من قوة لانها تعد عمله مظاهرة عدائية ضدها يقصد منه تحقيرها واهانتها وهي لا تحتمل ذلك ولا تسمح لزوجها هذا ان يعيش معها تحت سقف واحد ذلك لان أكبر عار يلحق الزوجة هو معرفة جيرانها واهل بلدتها بأنها لا تستطيع اعالة زوجها وأولادها من تعب يديها أو من عرق جبينها

ان المرأة تبادلت الواجبات مع الرجل وحلت محله في الاعمال والاشغال بل انها سلبت منه جميع واجباته وحقوقه واعماله الشاقة في تحصيل ما يقوم بأود الاسرة وحفظت لنفسها في الوقت ذاته واجبات الزوجة والام وربة المنزل

وهي تقضي سحابة يومها من مطلع الشمس حتى مغيبها تعمل بلا انقطاع وتفكر في الوسائل التي تسهل لها تحصيل نفقات المنزل فتذهب الى الغابة وتحتطب الحطب وتحرقه لتعمل منه فحما ثم تحمله على ظهرها عدة أميال لتبيعه وتشتري من ثمنه لزوجها دراعة أو خنجرا أو منطقة قوقاسية كما تبتاع الاطعمة للعائلة ولا يعلم أحد من أين

جاءت هذه العادات الغريبة التي حلت بها المرأة محل الرجل ذلك لانه لا يوجد عندهم كتابات تدل عليها وهم يتكلمون باللسان الاقاري وكثيرا ما يصادف المسافر امرأة من هذه القبيلة حاملة على ظهرها حملا ثقيلا تنوء تحته والى جانبها يسير رجل متورد الوجنتين يكاد الدم يفيض من وجهه متمنطقا منطقته ومتقلدا خنجره ولا يكلف نفسه أن يساعد زوجته في حملها لا قليلا ولا كثيرا

وتمتاز المرأة في هذه القبيلة عن سائر القوقاس المتحجبات بسفورها وحريتها المطلقة فهي لا تغطي وجهها ببرقع ولا تحتجب داخل منزلها بل تختلط بالرجال الاغراب وتحادثهم وتعاملهم واذا ذهبت للسوق ترتدي خير ملابسها وأكثرها زخرفا واناقة

واذا حان وقت ولادتها تذهب الى مكان منفرد بعيد عن أنظار الناس حتى عن عيني زوجها ولا تعود الى منزلها الا بعد انتهاء الولادة وعودة الصحة والقوة اليها

ويعتقد الياسيون ان الولادة أقذر كل شيء في الدنيا ولذلك فانهم يخفون المولود جديداً عن الانظار في حظيرة الحيوانات او يدلونه بسلة في بئر الى أن يطهر من النجاسة

والطلاق عندهم سهل جدا لا يحتاج الى امام ولا الى محكمة شرعية بل يكفي لذلك أن يقول الزوج لزوجته . بير طلاق . ايكي طلاق . اوتش طلاق . اي واحد اثنين ثلاثة فيتم الطلاق ويفترق الزوجان ما دامها على قيد الحياة

وليس في الوجود أتعس وأشقى من المرأة الياسية فانها تبني الكوخ للسكنى وتفرشه وتجهزه بالممدات اللازمة وأهمها انها تنسج عدة لبابيد للنوم والغطاء . وهذه القبيلة لا تعتني بالماشية ولا تربي الحيوانات الداجنة بل ان معول معاشها على حرق الاحطاب وتحويلها الى فحم

***

وفي القوقاس أيضا توجد قبائل أخرى تسود فيها المرأة وتعمل . منها قبيلة نوَر الارمن ومن عاداتها ان المرأة ساعة زواجها تحلف لزوجها يمينا تكرره ثلاثا وهو . (اني أقطع على نفسي عهدا بأن لا أشفق على نفسي طول أيام حياتي لارضاء زوجي

وخدمته وأتعهد بأن أعمل سحابة يومي لاطعام زوجي واولادي مادام في عرق ينبض ونفس يدخل ويخرج)

والمرأة الثورية لا تشتغل الاشغال الشاقة التي تقوم بها المرأة الياسية بل انها تحصل قوتها وقوت زوجها وأولادها من الكدية والتبصير والبلف كما تعيش (الغجريات) في مصر اللاتي ينادين سحابة يومهن في الشوارع (أبين زين وأشوف البخت وأخط بالودع)

وعلى مثال هذه القبائل تعيش قبيلة الخاناتوك والرجل منها يغيب عن منزله تسعة أشهر في السنة يقضيها في الجبال والاودية يرعى المواشي ولا يزور بيته في خلالها مطلقا بل يعود اليه في الصيف حيث يرتاح راحة تامة مدة ثلاثة أشهر وينحصر عمل المرأة في ادارة المنزل وزرع الخبرب وحصدها ودرسها وتربية الاولاد وفي خلال راحة الرجل الصيفية وهو زمن الحصاد والدراسة لا يساعد زوجته مطلقا بل يقضي سحابة يومه مضطجعا في فناء كوخه يسامر الرجال الذين يجتمعون حوله .

لو وضعت تيجان أوربا كلها تحت قدمي بدلا من كتبي لرفضتها فنلون

الكتب ليست جماداً بل أجسام ذات حياة فانها حياة مؤلفيها والمذكورين فيها فمن يتلف كتابا كمن يقتل نفسا بل قد يكون أعظم جرما لان من الناس من في قتلهم راحة للعالم ولكن اتلاف الكتاب المفيد فيه ضرر للعالم . ملتن

قال شاعر عربي :

لاتيأسوا أن تستردوا مجدكم فلرب مغلوب هوى ثم ارتقى
مدت له العلياء من نعمائها سببا الى آماله فتسلقا
فتجشموا المجد كل عظيمة اني رأيت المجد صعب المرتقى
عار على ابن (العرب) سباق الورى ما تقادم عهده أن يسبقا

ان غاية ما أتمناه في هذه الحياة واطلب من ربي كتاب يكون لي ينبوع سرور وهناء وترسا يقيني في السراء والضراء ويرافقني حيث أشاء هرشل